

الدفاع عن الاسلام

للأستاذ توفيق الحكيم

طويلاً : أستطيع عقل مثقف كمقل هذا الكاتب العظيم أن
يعتقد ما يقول . دين نبعه آلاف الملايين من البشر على مدى
الأجيال ، هو في نظره حقاً دين كاذب ؟ ومبادئ إنسانية كالتي
جاء بها الاسلام ، هي عنده حقاً مبادئ بربرية ؟ أم إنه المخلق
والزلق والفتاق . وإن الزمن والتاريخ يضمن أحياناً أقتمة زلتفة
على نفوس تزعم أنها خلقت للدفاع عن حرية الفكر . . .

منذ ذلك اليوم وأنا أحس كأنني نجعت في شيء عزيز لدى :
الايمان بنزاهة الفكر الحر . ولقد كنت أحياناً أتمس الأعداد
قولتير ، وأزعم أنه قال ما قال لا عن مجاملة أو ملق ، بل عن
عقيدة وحسن طوية استناداً على علم خاطيء بأخبار النبي ،
ولكن كتابه الى البابا كان يتهمه اتهاماً صارخاً ، ويدع مجالاً
للشك في دخيلة أمره . إني قرأت قولتير كتباً أخرى كانت
تكشف عن آراء حرة حقاً في مسائل الأديان ، وتتم من روح
واسعة الآفاق تكوره التمصب القديم ، فما باله عند ما عرض لذكر
محمد والاسلام كتب شيئاً هو التمصب بعينه ، تمصب لدينه ،
ذهب فيه الى حد السجود وتقبيل الأقدام ، لالرب المزة
والخلق ، بل لبشر هو رئيس الكنيسة التي ماأرى أن قولتير
كان في ذات يوم من خدامها المخلصين . هي الأطلاع التي كانت
تدفع قولتير فيما أرى الى التمسح بأعتاب الملوك والبابوات ، ولقد
يقدم ثمناً لذلك أفكاره الحرة أحياناً . منذ ذلك الحين وقولتير
عندي منهم ، ولن أبرئه أبداً ، ولن أعده أبداً من بين أولئك المظالم
الذين عاشوا بالفكر وحده وللحكمة . وأحسب أن التاريخ العادل
سوف يحكم عليه هذا الحكم ، فينتقم للحق بما اقترأه على نبي
كريم ظلماً وزوراً . على أن الذي يدعو الى الدهش أكثر من
كل هذا أن الشرق والاسلام وقفنا من الأمر موقف النائم الذي
لا يبى ولا يشعر بما يحدث حوله ، فلم أر كاتباً من كتاب الاسلام
قام في ذلك الوقت يدفع عن دينه هذا الهراء الذي قال قولتير ،
ويقتف في وجه هذا الكاتب بالحقائق الباهرة القاطمة ، أو أن
مؤلفاً وضع كتاباً يبرز فيه شخصية النبي الخيرة العظيمة واضحة
جليّة . لقد كان الشرق في ليل هادىء بهيم لم تثر فيه حركة
قولتير يومئذ ساكناً ، ولكن اليوم قد تغير الأمر ، ولاحت في
أفق الشرق خيوط الفجر ، وقام في هذا القرن كتاب يجردون



قرأت لتسع
سنوات خلت قصة
قولتير التمثيلية
« محمد » ، ففجئت
أن يكون كاتبها
معدوداً من أصحاب
الفكر الحر . فقد
سب فيها النبي سباً
قيحاً عجيباً له .
وما أدركت له علة ،

لكن عجبى لم يطل ، فقد رأيت يهديها الى البابا بنوا الرابع
عشر بهذه العبارات : -

« فلنستغفر قداسك لعبد خاضع من أشد الناس إيجاباً
بالفضيلة ، إذا تجرأ فقدم الى رئيس الديانة الحقيقية ما كتبه ضد
مؤسس ديانة كاذبة بربرية . والى من غير وكيل رب السلام ،
والحقيقة أستطيع أن أتوجه بنقدى قسوة نبي كاذب وأغلاطه ؟
فلتأذن لي قداسك في أن أضع عند قدميك الكتاب ومؤلفه ؛
وأن أجرؤ على سؤالك الحماية والبركة . وإني مع الاجلال العميق
أجتو وأقبل قدميك القديستين » (قولتير ١٧ أغسطس ١٧٤٥)
وعلمت في ذلك الحين أن روسو كان يتناول بالنقد أعمال
قولتير التمثيلية ، فاطلمت على ما قال في قصة « محمد » على أجد
ما يرد الحق الى نصابه ، فلم أر هذا الفكر الحر أيضاً يدفع عن
النبي ما ألتصق به كذباً ، وكأن الأمر لا يعنيه ، وكأن ما قيل
في النبي لا غبار عليه ولا حرج فيه ، ولم يتعرض للقصة إلا من
حيث هي أدب وفن . ولقد قرأت بعد ذلك رد البابا بنوا على
قولتير ، فآلفيته رداً رقيقاً كيساً لا يبشر بكلمة واحدة الى الدين ،
وكله حديث في الأدب . فمظم عجبى لأمر قولتير ، وسألت نفسي

والكسل ، ولا يوقظه منهما إلا يسفك الدماء ، ويدمن على معاقرة الحور ، ويجمع في القبائح . وما قبر محمد في مكة إلا عمود كهربائي يث الجنون في رؤوس المسلمين ويلجئهم الى الاتيان بمظاهر المستريا (الصراع) العامة والذهول العقلي ، وتكرار لفظة الله الى ما لا نهاية ، والتعود على عادات تنقلب الى طباع أصلية ككراهية لحم الخنزير ، والتبذير ، والموسيقى ، والجنون الروحاني ، والليانيا ، والماليخوليا ، وترتيب ما يستنبط من أفكار القسوة والفجور في اللذات « الخ الخ

أمثال هذا الكاتب يعتقدون أن المسلمين وحوش ضارية ، وحيوانات مفترسة « كالفهد والضبع ، كما يقول المسيو كيمون « وأن الواجب إبادة خمسهم » كما يقول أيضاً « والحكم على الباقين بالأشغال الشاقة ، وتدمير الكعبة ، ووضع ضريح محمد في متحف اللوفر » وهذا أيضاً قوله « . . وهو حل بسيط وفيه مصلحة للجنس البشري .. أليس كذلك ؟ ولكن قد برح عن خاطر الكاتب أنه يوجد نحو ١٣٠ مليوناً مسلماً ، وأن من الجائز أن يهيب هؤلاء « المجانين » للدفاع عن أنفسهم والذود عن بيضة دينهم . . الخ الخ »

فما ظهر هذا الكلام في صحيفة المؤيد ، حتى قام الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده لساعته مجرداً قلمه وكتب نحو أربع مقالات هي أقوى ما قرأت دفاعاً عن الاسلام ، وإظهاراً للحقيقة مبادئه الخافية على أغلب الأوربيين . وقد رد علي هانوتو فيما أوردنا سابقاً : « ما هذا التمدن الآري الذي كانت عليه أوروبا عند ما انتقص أطرافها المسلمون ؟؟ »

هل كانت تلك المدينة هي التسافك في الدماء ، وإشهار الحرب بين الدين والعلم ، وبين عبادة الله وبين الاعتراف بالعقل ، نعم هذا هو الذي كان معروفاً عند الغربيين وقت مآظهم الاسلام ماذا حمل الاسلام الى أوروبا ، وما هي المدينة التي زحف عليهم بها فردوها ؟ زحف عليهم بما استفاد من صنائع الفرس وسكان آسيا من الآريين ، زحف عليهم بعلوم أهل فارس والصريين والرومانيين واليونانيين . نظف جميع ذلك ونقاء من الأردن والأوساخ التي تراكت عليه بأيدي الروساء في الأمم الغربية لذلك التاريخ ، وذهب به أبلج ناصماً بهر به أعين أولئك الغافلين المتسكمين الذين كانوا في ظلمات الجهالة لا يدرون أين يذهبون

عقيدتهم وهم يعلمون أن في ذلك تمجيذاً للحق وللشرق ، فان المسألة ليست مسألة دين فقط ، إنما هي أيضاً مسألة جنس وقومية ؛ وإذ تقول أوربا : « الاسلام » فانما تعني في غالب الأحيان « الشرق » . إن الحروب الصليبية في حقيقتها لم تكن إلا حرب الغرب على الشرق ؛ وإن الفتح الاسلامي عندما بلغ فرنسا وهدد أوروبا لم يكن في الواقع إلا حرب الشرق على الغرب . هذا المد والجزر بين الغرب والشرق يفهمه مفكرو الأوربيين تمام الفهم ، ويحسبون له الحساب ، ويعلمون دائماً على أن تكون الغلبة لهم آخر الأمر ، أو أن يطيلوا على الأقل أمد غلبتهم إن كان لا بد من تبدل الحال ومن دوران الفلك طبقاً لناموس أعلى لا قبل لهم به . فالدفاع عن شخصيتنا وعقيدتنا دفاع عن حياتنا ، وإن الكتابات التي توجه لهذا الغرض النبيل يبنى أن يكون لها علينا حق المؤازرة والتضديد ؛ وإني لست بتناقض منقطع للنظر في أعمال المؤلفين وتقدير قيم ما يكتبون ، ولكنني أريد أن أشير بإشارة سريعة الى ثلاثة أساليب مختلفة من أساليب الكتابة ، أتجهت في العصر الحديث الى هذه الغاية ، كل في دائرته

في الكتابة الدينية : « الرد على هانوتو » للأستاذ الامام محمد عبده ، فلقد نشر جابريل هانوتو الكاتب والوزير الفرنسي يوماً مقالة جاء فيها :

« قد أصبحنا اليوم إزاء الاسلام والمسألة الاسلامية ، اخترق المسلمون أبناء آسيا شمال القارة الأفريقية بسرعة لا تجارى حاملين في حقائبهم بمض بقايا تمدن البيزنطيين (يونان الشرق) ثم تراموا بها على أوروبا ، ولكنهم وجدوا في نهاية انبعاثهم هذا مدينة يرجع أصلها الى آسيا ، بل أقرب في الصلة الى المدينة البيزنطية مما حملوه معهم ، ألا وهي المدينة الآرية المسيحية ، ولذلك اضطروا الى الوقوف عند الحد الذي اليه وصلوا ، وأكروهوا على الرجوع الى أفريقية حيث ثبت فيها أقدامهم أحقاباً متعاقبة » ثم قال في موضع آخر : « وقصر فريق منا بحثه وحكمه على ما شاهده من التناقضات والخلافات بين الدينين المسيحي والاسلامي ، فرأى في الاسلام المدو الألد والخمص الأشد . قال المسيو كيمون في كتابه « باتولوجيا الاسلام » : إن الديانة المحمدية جذام فشا بين الناس وأخف يفتك فيهم فتكا ذريعاً ، بل هي مرض مريع وشلل عام ، وحنون ذهولي يبعث الانسان على الحول

المسلمين ؛ وبثما اختارا لسياسة بلدهما أن يظهرهما ضغفهما ، وبمنا
خطل رأيهما وضعف حلمهما
أما فليعلم كل من يخدع نفسه بمثل حلمهما أن الاسلام إن
طالت به غيبة ، فله أوبة ، وإن صدعته النوائب فله نوبة ، وقد
يقول فيه المنصفون من الانكازير مثل (اسحق طيلر) وهو قس
شهير ورئيس في كنيسة :
« إنه يمتد في أفريقيا ومعه تسير الفضائل حيث سار ،
فالكرم والمفان والنجدة من آثاره ، والشجاعة والاقدام
من أنصاره »

بهذا القلم وهذه المعرفة وهذا الذهن ، وقف رجل الاسلام
الحديث محمد عبده يذود عن بيضته أمام عدوان جهابذة الفكر
والقلم من الأوربيين
أما في الكتابة الأدبية ، فأذكر « على هامش السيرة »
للدكتور طه حسين ، ففي هذا الكتاب دفاع عن الاسلام كما
يستطيع الأدب البحث أن يدافع . فهو لا يسلك الطريق المستقيم في
الكلام عن الاسلام ، ولا يلجأ الى التذليل العقلي ، وإنما يخلق
جواً شغرياً يجب الى النفس سيرة النبي وبيئته ؛ وقد عمد
الدكتور طه حسين الى الأساطير ينسج منها هذا الجوا الأدبي
الجميل ، وتلك وسيلة الأدب والفن ، ومن ذا يقرأ هذا الوصف
لبلاذ النبي ولا تأخذه روعته ؟ :

(هنالك دعت « آمنة » اليها من حضرها من نساء بني
هاشم ، فأسرعن اليها وقضين معها ليلة لا كاليالي ، أنكرن فيها
كل شيء وأعجبن فيها بكل شيء ، أنكرن حتى أنفسهن ، فقد
رأين مالم ير أحد ، وسمعن مالم يسمع أحد ، وأحسن مالم يحس
أحد . ولم تكن آمنة أقلهن إنكاراً وإكباراً وإعجاباً — فقد
كانت ترى وهي يقظة غير نائمة أن نوراً ينبعث منها فيملا الأرض
من حولها ، ويزيل الحجب عن عيناها ، وكانت تنظر فتري قصور
بصرى في أطراف الشام ، وكانت تنظر فتري أعناق الابل تردى
في أقصى الصحراء ، وكانت لاتتحدث الى من حولها بما ترى
مخافة أن ينكرن ما تقول ، وأن يظنن بها الظنون ، وكانت
هذه من صاحباتها لاتعمد طرفها الى شيء حتى تراه نوراً كله ،
لاظلمة فيه وإنما هو مشرق مضيء ، أو هو الاشرار الخالص ،

إني أكيل لسيو هانوتو إجمالاً بأجمال ، والتفصيل لا يجمله
قومه ، وكثير من منصفهم لم يستطع إلا الاعتراف به
إن أول شرارة ألهبت نفوس الغربيين فطارت بها الى المدينة
الحاضرة كانت من تلك الشعلة الموقدة التي كان يسطع ضوءها
من بلاد الأندلس على ما جاورها ، وعمل رجال الدين المسيحي
على إطفائها مدة قرون فما استطاعوا الى ذلك سبيلاً . واليوم يرى
أهل أوروبا ما نبت في أرضهم ، بمد ما سقيت بدماء أسلافهم
المسفوكة بأيدي أهل دينهم في سبيل مطاردة العلم والحريه وطوابع
المدينة الحاضرة »

ثم رد الامام في موضع آخر : « يجب على الباحث في
الاسلام أن يطلبه في كتابه ، كما يجب عليه أن يطلب آثاره
والاسلام لاسلام ، والمسلمون مسلمون ، ولو استثم مسيو
(كيمون) الذي استشهد هانوتو بكلامه ربح الدلم لما استفرغ
ذلك القدر من فيه ، ولا حاجة الى الكلام فيه ، فسخافة رأيه
وقلة أدبه تكفيه

من أين أتى المسلمون وكيف دخل عليهم في عقائدهم بالنشبيه ،
وفي عوائدهم بالتلويه ؟ ومن تعلموا الافتراس ، وعمن أخذوا
الضراء بالشهوات ؟ أنا أعلم ذلك وأهل العلم يعلمون ، والله من
ورائهم محيط

اتبع المسلمون سنن من قبلهم شبراً بشبر ، وذراعاً بذراع ،
حتى سقطوا في مساقطهم ، وطارحوا الأوهام حتى أنجزوا الى
مطارحهم ، وبأدوا بما كان لهم وما عليهم

حدثت في الدين بدع أكلت الفضائل وحصدت العقائل ،
وترامت بالناس الى حيث يصب عليهم ما استفرغه (كيمون)
أما لو رجع المسلمون الى كتابهم واسترجعوا باتباعه ما فقدوه
من آدابهم لسلت نفوسهم من الميب ، وطلبوا من أسباب
السعادة ما هدام الله اليه في تنزيله على لسان نبيه ، وهداه لهم
سلفهم وخطه لهم أهل الصلاح منهم ، واستجمعت لهم القوة
ودبت فيهم روح الفتوة ، وكان ما يلقاه هانوتو وكيون من
دين صحيح شرأ عليهم بما يخشونه من دين شوته البدع

يرى كيمون أن يخلى وجه الأرض من الاسلام والمسلمين ،
ويستحسن رأيه هانوتو لولا ما يقف في طريق ذلك كثرة عدد

بجال التدليل العقلي ، وأظهر شخصية النبي عظيمة في بشرتها السامية ، وأبان عن غرض النبي في الدعوة الى دين جوهره اختراع النفس بالحقيقة العليا . ان هذه النظرة الجديدة فيها إجلال للنبوة . وان أولئك السفهاء الذين كانوا يطلبون الى الأنبياء أن يثبتوا نبوتهم بالمعجزات قد أتموا في حق الفكر البشري قبل أن يأتوا في حق الدين

ان المعجزة : أى الاتيان بعمل خارق للمعاد لا يدل على شيء ولا يثبت نبوة ولا يدحضها . فان من الكهان أو بسطاء الناس من يملكون أحياناً تلك القوى الخارقة في أجسامهم أو عقولهم أو أرواحهم دون أن يكونوا من أجل ذلك أنبياء . ان النبي ليس في حاجة الى معجزة كي يكون نبياً . انما النبي من حُمل رسالة علوية لا ينصرف عن الحياة حتى يؤديها ، ومن فضل محمد أنه لم يشأ أن يقنع الناس بنبر ذلك ، فقد بلغهم رسالته واعتمد في اثباتها على العقل المجرد

ولقد جاء في كتاب هيكل بك : « لما جهد المسلمون عطشاً أثناء مسيرة جيش المسرة الى غزوة تبوك ثم أمطرتهم السماء ذهب بعضهم اليه (الى النبي) يقول إنها معجزة ، فكان جوابه : (انما هي سحابة مارة) ؛ ولما كسفت الشمس يوم اختار الله ابنه ابراهيم الى جواره قال الناس : (ان هذا الكسوف معجزة) فكان جوابه : « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته » . هذا جواب محمد الذي قيل إنه نبي كاذب !! فهل يمكن أن يكون هذا جواب نبي كاذب ؟؟

ان في كتاب هيكل صفحات تصلح رداً بليغاً على قولته . ان محمد كره هو اعظم من فهم حقيقة النبوة ، ووعى معنى الحقيقة العليا ، وأدرك أن أكبر معجزة في هذا الكون هي انه لا يوجد في الكون معجزات ، وأن كل شيء يسير طبقاً لنظام دقيق . واذا قيل نظام قيل قانون ، واذا قيل قانون قيل عقل مدبر ، وهذا العقل واحد أحد تبدو سمته في ادارة الأجسام غير المحدودة في المظلم كما تبدو في ادارة الأجسام غير المحدودة في الصغر ، ذات اليد العلوية وعين أرها في كل شيء ، يد واحدة لا تتغير وقانون واحد لا يتغير . ان محمداً كما يبدو في وصف الدكتور هيكل قد تأمل الطبيعة كثيراً ، وفكر ملياً في نظامها العجيب فكشف عن بصيرته وبصره فامتلاً قلبه بالله ، كما اقتنع عقله بوجوده ، فجاء

وكانت هذه الأخرى من صاحباتها تنظر ، فاذا نجوم السماء تدنو من الأرض وتمد اليها أشعة قوية نقية باهرة ساحرة ، وإنها لتدنو وتدنو حتى يخيل الى الرائية أنها توشك أن تمسها وتقع عليها)

لقد دافع طه حسين عن الاسلام في كتابه « على هامش السيرة » وان كان لم يقصد الى ذلك . فان الأدب الصرف والفن الصرف لا يقصدان أحياناً الى شيء ، ولكن في مجرد صوتيهما أبلغ الكلام

أما في الكتابة العلمية فها هو ذا كتاب « حياة محمد » للدكتور محمد حسين هيكل بك . ولو اني أعتقد أن أسلوب الدكتور هيكل في « حياة محمد » يدخل أيضاً في منطقة الكتابة الأدبية ، فان هذا الكتاب يعتبر في نظري من كتب « التراجم والسير » التي يضمها الكتاب الأدباء ، لا من البحوث العلمية التي يؤلفها المؤرخون العلماء ويعنون فيها باضافة شيء جديد الى العلم المعروف ، أو استكشاف وثيقة من الوثائق التحريرية أو الأدبية ، أو تحقيق مصدر من المصادر . على أن كتاب هيكل هو بلا نزاع أول سيرة نبوية خليقة أن تمثل تطور العقليّة الاسلاميّة في هذا العصر الحديث

وما أشق انتظارنا هذه الأجيال الطويلة لهذه السيرة الحديثة نضمها الى جانب سيرة ابن هشام والسيرة الحلبية وطبقات ابن سعد وغيرها من السير القديمة حتى يستطيع عصرنا أن يجهر بأنه فعل شيئاً من أجل الاسلام

ولو ان الأستاذ الشيخ محمد عبده حتى اليوم لاستقبل هذا الكتاب بمثل ما استقبله به الأستاذ الشيخ المراهي ، فرحاً بهذا القلم الجديد ينهض لخدمة الحق والاسلام ولقد ذكرت هذه الكتب وهذه الأساليب الثلاثة بالذات لما رأيته فيها من نظرة جديدة الى محمد والاسلام . نظرة ملؤها الاكبار الصادر عن فكر حر لا من تمصب أعمى . ان الناس لم تعد تعنى بتلك الكتب المغممة بالثناء الأجوف والألقاب الطويلة يحاط بها اسم النبي ، وهو في عظمته أجل من أن يحتاج اليها . انما تريد الناس اليوم حقيقة مجردة ناصمة هي في تجردها أجل وأسمى وأبلغ في النفوذ الى القلوب ، وهذا ما صنع هيكل بك في كتابه « حياة محمد » على نحو خليق بالثناء ، فلقد أسقط من حياة النبي تلك المعجزات التي لا تنفي من الحق شيئاً مادمتنا في

إن الاسلام وهو أحدث الأديان ، وهو الذي لم يخاصم العلم ، وهو الذي اتسع صدره لكل شيء . يصلح فيما يرى الدكتور هيكل لمعالجة أزمات المسالم الحاضر ، الروحية والاجتماعية والاقتصادية . وهو رأى صادق إذا قيس الله للاسلام رجالاً ذوى نظرة نافذة وذهن مستنير واطلاع واسع ، يبرزون فضائله بأساليب جديدة ، ويتولون إذاعته والدفاع عنه بأقلام ذكية قادرة . ولقد صنع هيكل كثيراً في هذا السبيل بأسلوبه الجديد في « حياة محمد » . ولئن كان قد أتم في دنياه فلقد اشترى بكتابه آثامه !!! ولسوف يتقدم يوم الدين وكتابه يمينه بشفع له في دخول الجنة !!! ولسوف يدخلها بأذن الله متأبطاً ذراع طه حسين بما قدمت يمنه هو أيضاً من كتاب أدبي جميل « على هامش السيرة » ، كان له ولا ريب أبلغ الأثر في حمل الناس على استمرار أخبار النبي ، ولها بعد ذلك ولأمثالها ممن دافعوا وبدافعون عن الاسلام خير التحية : فاني قلتها وأقولها دائماً : ليس الأمر أمر عقيدة وديانة ، إنما هو الى جانب هذا أمر حياة تلك الكتلة التي يسميها الغربيون : الشرق . وما الدفاع عن الاسلام إلا الدفاع عن الشرق ما

توفيق الحكيم

الكتب النادرة

الكتب النادرة من المطبوعات العربية لا يعرفها إلا غواتها من الأدياء ومنها المطبوع في بولاق وأوروبا والاستانة وسائر الأقطار الشرقية ، لهذا اختص صاحب مكتبة العرب الشهيرة بجمع أمثال هذه الكتب من مطبوع ومخطوط حتى أصبحت مكتبة العرب حاضرة بأمثال هذه النفائس والتحف بأتمان مرضية ، كما ان مكتبة العرب تشتري الكتب لحسابها لاسيا الكتب الخطية والمصاحف الأثرية وتقديرها قدرها .
وجميع المخابرات مع صاحبها الفاضل

الشيخ يوسف البستاني

بشارع الفجالة ٤٧ بمصر تليفون نمرة ٥٦٠٢٥

والمكتبة قائمة ترسلها مجاناً لكل طالب

دينه ديناً كاملاً ، صادقاً في نظر القلب والعقل معاً . ولئن كان على الأرض نبي أحب العلم ، ولم يخش دينه العلم ، ولم يضطهد العلماء ، فهو « محمد » الذي قال : « فضل العلم خير من فضل العبادة » « اطلب العلم ولو في الصين » وكثيراً من الأحاديث التي تنبئ على العلم وتحض عليه . ذلك أن مصدر اقتناع العلم ومصدر اقتناع محمد واحد : الكون وملاحظة ما فيه من ابداع يتم عن يد الخلاق العظيم

في كتاب حديث للمالم انشتين فصل ذكر فيه رأيه في الدين ، فقال إنه يمتنع ما يسميه « الديانة الكونية » تلك الديانة التي تملأ قلب كل عالم انقطع لتأمل « ذلك التناسق العجيب بين قوانين الطبيعة وما يخفى من عقل جبار لو اجتمعت كل أفكار البشر الى جانبه لما كونت غير شعاع ضئيل أقرب القول فيه انه لا شيء »

لا ريب عندي أن احساس انشتين نحو الكون والله هو عين احساس محمد يوم كان يتخضت في غار حراء قبل نزول الوحي . انما الأنبياء والعلماء قلوب واعية تشع بجلال الله . ولا يمكن لشي أن يكون نبياً إلا أن يشع من تلقاء نفسه بمظمة الخليفة ويتحرق شوقاً الى معرفة صانعها ، ولا يزال الشوق بقلبه حتى يكشف له الصانع الأعظم عن بعض نوره ، ويوحى اليه بنشر هذا النور على الانسانية . اني كلما تأملت شخصية محمد مجردة ثبتت ايماني بأن الخصومة المعروفة بين العلم والدين ليس لها في الحقيقة وجود ، وان الدين الحق لا يتعارض والعلم الحق . . . بل إن الدين والعلم شيء واحد ، كلاهما يطلب نور الله ويريد وجهه ، وكلاهما يي ويؤمن ويلهج بتناسق الوجود ووحدة قوانينه ودلالة وحدة الوجود على وحدة الخالق . ولم يظهر نبي حق ولا عالم حق شعر بغير ذلك . انما الفارق بين العلم والدين في السبل التي يسلكها كل في الدنو من الله . ومن قال إن وسائل العلم ينبنى أن تماثل وسائل الفن أو وسائل الدين ؟؟؟

إن الطرائق والسبل يجب أن تظل مختلفة مميزة لا يختلط بعضها ببعض ، انما المصدر واحد دائماً والغاية واحدة . فما الدين والعلم والفن إلا خيوط ثلاثة كتب على بشرتنا القاصرة العمياء أن تتمسك بها لتهدى الى ذلك النور الذي لا بداية له ولا نهاية : الله